الجزء الرابع

obeikandl.com

obeikandl.com

الآفة الثانية والعشرون
المراء أو الجدل

الآفة الثانية والعشرون التى قد يبتلى بها نفر من العاملين، بل لقد ابتلوا بها بالفعل، وكانت وراء كثير مما نعانى نحن المسلمين العاملين لدين الله اليوم إنما هى : «المراء أو الجدل » .

وحتى يتخلص من هذه الآفة من ابتُلى بها، ويتوقاها من سلَّمه الله ـ عز وجل ـ منها، فإنه لابد من الوقوف على حقيقة أبعادها ومعالمها، وذلك من خلال الجوانب الآتية :

أولا : تعريف المراء أو الجدل :

لغة : يطلق المراء فى لغة العرب على معان عدة، أهمها :

أ ـ الشك، تقول : امترى فى الشىء : تعنى شك فيه، ومنه قوله سبحانه فى التنزيل : ﴿ **الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** (١٤٧) ﴾ [البقرة] .

ب ـ مخالفة الغير والتَّلوِّى عليه أو عدم الوضوح معه، تقول : مارى فلان فلانا، أى خالفه وتلوَّى عليه، أو لم يكن واضحا معه .

جـ ـ المناظرة والجدل، تقول : مارى فلان فلانا، أى ناظره وجادله، ومنه قوله سبحانه : ﴿ **فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا** ﴾ [الكهف : ٢٢] .

د ـ استخراج الشىء من مكمنه، تقول : امترى الشىء، أى استخرجه من مكمنه، وامترى الناقة، أى حلبها واستخرج اللبن من ضرعها .

هـ ـ التَّزين والتجمل، تقول : تمرَّى بالشىء، أى تجمل وتزين(١) .

ولا تعارض بين هذه المعانى جميعًا، فإن المناظرة أو المجادلة قد تكون فى ظاهرها

---

(١) انظر : لسان العرب لابن منظور ٦ / ٤١٨٨ ـ ٤١٩١، مادة : « مرا » بتصرف كثير، والمعجم الوسيط ٢ / ٩٠٠، ٩٠١ .

obeikandl.com

قائمة على التجمل والتزين، ولكنها فى باطنها تقوم على أساس استخراج ما عند الغير ومخالفته، بل والشكك فيما يصدر عنه .

والجدل لغة : يطلق على معان عدة وأهمها :

أ ـ الصَّرْعُ والغلبة، تقول : جدل الرجل، أى صرعه، وغلبه فى الجدل .

ب ـ الإتقان والحسن، تقول : جدل الحبل جَدْلا، أى أحكم فتله وأتقن، وجارية مجدولة الخَلْقِ، أى حسنته .

جـ ـ شدة الخصومة والمناقشة، تقول : جادله مجادلة وجدالا : ناقشه، وخاصمه، ومنه قوله سبحانه فى التنزيل : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] . ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦) ﴾ [العنكبوت] . ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) ﴾ [المجادلة] .

د ـ مقابلة الحجة بالحجة، تقول : جادل فلان فلانا : قابل حجته بحجة من عنده(١) .

ولا تعارض بين هذه المعانى جميعا، فإن إتقان وحسن الخصومة والمناقشة ينتهى إلى الصرع والغلبة غالبا .

اصطلاحا : أما معنى المراء فى اصطلاح الدعاة ، فقد عرَّفه الغزالى فى إحياء علوم الدين بقوله : « كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إمَّا فى اللفظ وإمَّا فى المعنى، وإمَّا فى قصد المتكلم » (٢) .

كما عرف الجدل بقوله: « قصد إفحام الغير، وتعجيزه وتنقيصه بالقدح فى كلامه، ونسبته إلى القصور والجهل فيه »، وهو غالبا ما يكون فى المسائل العلمية، أما المراء فهو عام فى المسائل العلمية وغيرها (٣) .

---

(١) انظر : لسان العرب لابن منظور ١ / ٥٦٩ ـ ٥٧١، والمعجم الوسيط ١ / ١١١ ، مادة : « جدل » بتصرف كثير .

(٢ ـ ٣) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى ٣ / ١١٤ .

ثانيًا : صور المراء أو الجدل ، ووضعهما فى ميزان الإسلام :

وللمراء أو الجدل صور أو أمارات يعرف بها كل واحد منهما وأهمها :

١ ـ الطعن فى كلام الغير من حيث اللفظ، بإظهار خلل فيه من جهة النحو، أو من جهة اللغة، أو من جهة العربية، أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير.

٢ ـ الطعن فى كلام الغير من حيث المعنى، بأن يقول الممارى : ليس الكلام كما تقول، وقد أخطأت فيه من وجه كذا، وكذا .

٣ ـ الطعن فى كلام الغير من حيث القصد ، بأن يقول الممارى لخصمه : هذا الكلام حق، ولكن ليس قصدك منه الحقَّ، وإنما أنت فيه صاحب غرض، وما يجرى مجراه (١) .

والمراء أو الجدل على هذا النحو مذمومان، وذلك للنصوص الكثيرة الدالة على هذا، ومنها قوله تعالى :

﴿ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢)﴾ [الكهف] . ﴿ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (١٨) ﴾ [الشورى] . ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٥٥) ﴾ [النجم]. ﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) ﴾ [الحجر]. ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) ﴾ [مريم]. ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) ﴾ [النجم]. ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) ﴾ [غافر] . ﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧)﴾ [النساء]. ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ(١٢١)﴾ [الأنعام] . ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [غافر: ٣٥].

وقال رسول الله ﷺ : « أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا ، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه »(٢) ، «ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل »، ثم تلا

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى ٣ / ١١٤ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فى حُسْن الخلق ٤/ ٢٥٣ رقم (٤٨٠٠) من حديث أبى أمامة ﷺ مرفوعا، وأورده الشيخ ناصر الدين الألبانى فى : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٧٣) ، وعزاه إلى أبى داود، وساق له شاهدا يرتقى به إلى درجة الحسن كما قال .

رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) ﴾ [الزخرف][(١)] ، « أبغض الرجال الألدُّ الخصم » [(٢)] ، إلى غير ذلك من النصوص الدالة بصراحة ووضوح على ذمِّ المراء أو الجدل .

وهذا لا يمنع أن هناك نوعا من الجدل محمود ، وهو ما كان دعوة إلى حقٍّ أو إيضاحا وبيانا ودفاعا عن حق، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] . ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] . ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ(١١١) ﴾ [النحل] . ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) ﴾ [هود] .

ثالثًا : أسباب الوقوع فى المراء أو الجدل :

وهناك أسباب أو بواعث توقع فى المراء أو الجدل ونذكر منها :

١ ـ عدم رعاية آداب النصيحة :

وذلك أن للنصيحة فى الإسلام آدابا، وأهمها : أن تكون فى السرِّ ما لم يجاهر بها صاحبها، وأن تكون بالأسلوب المناسب وفى اللحظة المناسبة، وأن تكون بنيَّة الإصلاح والتغيير إلى ما هو أحسن، وأن تكون خالصة لوجه الله تعالى، وأن يتجرد الناصح من حوله وقوته إلى حول الله وقوته . وعدم رعايته هذه الآداب قد يولد فى نفس المنصوح نوعًا من العزَّة بالإثم، ويحاول التعبير عنها فى شكل مراء أو جدل ليبرِّر به ما هو عليه من خطأ، ولا يقبل النصيحة .

٢ ـ عدم الحظوة بثقة واحترام الآخرين :

وذلك أن المرء قد لا يحظى لسبب أو لآخر بثقة واحترام الآخرين سواء أكان ذلك فى البيئة القريبة ـ ونعنى بها البيت ـ أم فى البيئة البعيدة ـ ونعنى بها المجتمع ـ ويكون

---

(١) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ٥ / ٢٥٢، ٢٥٦، والترمذى فى : السنن : كتاب تفسير القرآن : باب ومن سورة الزخرف ٥ / ٣٥٣ رقم (٣٢٥٣) وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح »، وابن ماجه فى :السنن : المقدمة : باب اجتناب البدع والجدل ١ / ١٩ رقم (٤٨) ، كلهم من حديث أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه مرفوعا بهذا اللفظ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ٦ / ٥٥، ٦٣، ٢٠٥ من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا بهذا اللفظ .

هذا منزلقا أو مدخلا خطيرا للوقوع فى المراء أو الجدل، كرد فعل يحاول به إثبات وجوده، وحمل الآخرين على الثقة به واحترامه .

ولعل هذا هو السرُّ فى منع الإسلام الكذب ولاسيما على الصغار ؛ لأنه يؤدى إلى سحب الثقة، أو نزع الهيبة والاحترام من نفوس الآخرين، يقول ﷺ :

« عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا »(١) . « مَنْ قال لصبيٍّ : تعال هاك، ثم لم يعطه فهى كذبة » (٢) .

وعن رجل من موالى عبد الله بن عامر بن ربيعة العدوى، أن عبد الله بن عامر حدثه فقال : دعتنى أمى يومًا، ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا، فقالت : ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ : « وما أردت أن تعطيه ؟ » قالت : أعطيه تمرا، فقال لها رسول الله ﷺ : « أما إنك لو لم تعطيه شيئا كُتبت عليك كذبة » (٣) .

٣ ـ الميل إلى الغلبة وعدم قبول الهزيمة :

وقد يكون الميل إلى الغلبة، وعدم قبول الهزيمة سببًا من أسباب الوقوع فى المراء أو الجدل ؛ ذلك أن المرء قد يكون ميالا بطبعه إلى الغلبة، ولا يقبل الهزيمة، ويستخدم فى سبيل تحقيق هذا الميل كل ما يتاح له من أسباب ووسائل، ويكون المراء أو الجدل واحدًا من هذه الأساليب، وتلك الوسائل .

ولعل هذا هو السرُّ فى دعوة الإسلام إلى الإنصاف من النفس، إذ يقول الله تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأدب : باب قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ٨/ ٣٠، ومسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب تحريم النميمة : وباب قبح الكذب، وحسن الصدق وفضله ٤ / ٢٠١٢، ٢٠١٣ رقم (٢٦٠٧)، كلاهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا واللفظ لمسلم .

(٢) الحديث أخرجه أحمد فى: المسند ٢ / ٤٥٢ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا بهذا اللفظ .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الأدب: باب فى التشديد فى الكذب ٤/ ٢٩٨ رقم (٤٩٩١) من حديث مولى من موالى عبد الله بن عامر بن ربيعة العدوى، عن عبد الله بن عمر بن عامر رضي الله عنه قال: دعتنى أمى يومًا . . . الحديث، غير أن مولى عبد الله مجهول .

إن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة].

ويقول النبى ﷺ: « ثلاثٌ مَنْ جمعهُنَّ فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار »[1].

٤ ـ البيئة المحيطة بالمرء :

وقد تكون البيئة التى ينشأ فيها المرء، قريبة كانت هذه البيئة ـ ونعنى بها البيت ـ أو بعيدة ـ ونعنى بها المجتمع ـ هى السبب فى الوقوع فى المراء أو الجدل ؛ ذلك أن المرء كثير ما يتأثر بالجو المحيط به، ولاسيما إذا لم يكن قد أخذ حظه من التربية على كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، وتشيع هذه الآفة فى هذا الجو، وحينئذ يقع فريسة لها، ويصير من أخلاقه : المراء أو الجدل .

٥ ـ التشويش على الحقِّ والصَّواب :

وقد يكون التشويش على الحق والصواب، هو السبب فى الوقوع فى المراء أو الجدل، ذلك أن المرء قد يكون على باطل أو خطأ، ويرى شمس الحق ونور الصواب يغزوان هذا الباطل وذلك الخطأ، ويحاولان اقتحام العقل والقلب معا، وهو لا يريد ذلك لسبب أو لآخر، وحينئذ يجعل من المراء أو الجدل سبيلا للتشويش على الحق والصواب، على نحو ما قال المشركون لبعضهم البعض، وهم يتشاورون على كيفية مواجهة الوحى الذى أوحاه الله إلى رسوله محمد ﷺ وقد حكاه القرآن عنهم فقال : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فصلت] .

وعلى نحو ما يصنعه الملحدون والعلمانيُّون والمشركون فى مواجهتهم للإسلام فى العصر الحاضر من استخدام المراء أو الجدل سبيلا لقلب الحقائق وإدانة الأبرياء، وتبرئة

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الإيمان : باب إفشاء السلام من الإسلام (معلقا) ١/ ١٤ قائلا : « وقال عمار : « ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان » . . . الحديث، وقد وصله الحافظ ابن حجر فى: فتح البارى ١/ ٨٢ قائلا : « وأثره هذا ـ أى أثر عمار بن ياسر أحد السابقين الأولين ـ أخرجه أحمد بن حنبل فى كتاب الإيمان من طريق سفيان الثورى، ورواه يعقوب بن شيبة فى مسنده من طريق شعبة وزهير بن معاوية، وغيرهما، كلهم عن أبى إسحاق السبيعى، عن صلة بن زفر، عن عمار، ولفظ شعبة : « ثلاث مَنْ كُنَّ فيه فقد استكمل الإيمان » . وهو بالمعنى، وحدَّث به عبد الرزاق بآخره، فرفعه إلى النبى ﷺ . . . حتى قال : وله شواهد أخرى بيَّنْتُها فى : تغليق التعليق » .

المتهمين، انطلاقا من قاعدتهم المعروفة : « واجه خصمك بالتشويش والتهويش تُصب منه ولو إلى حين » .

٦ ـ الاشتغال بعلوم الجدل والمناظرة قبل التحصن بالكتاب والسنة :

وقد يكون الاشتغال بعلوم الجدل والمناظرة من المنطق والفلسفة، هو السبب فى الوقوع فى المراء أو الجدل ولا سيما قبل التحصُّن بالكتاب والسنة، ذلك أن هذه العلوم قائمة على الجدل، وتضييع الأوقات بغير طائل، أو بغير جهد يذكر، ومن اشتغل بها قبل أن يحصِّن نفسه بكتاب الله وسنة رسوله محمدﷺ، يبتلى لا محالة بداء المراء أو الجدل .

ولعل هذا هو سر اختلاف علماء المسلمين فى حكم تعلم الفلسفة، والمنطق، فمن قائل بالجواز، وهو سيف الدين الآدمى، انطلاقا من أن الإنسان لديه عقل منحه الله إياه، يستطيع أن يزن به الأمور، وأن يميز به بين الحق والباطل، النافع والضار، ومن قائل بالمنع، وهو الحافظ أبو عمرو المعروف بابن الصلاح، انطلاقا من أن هذه العلوم تُعلِّم المراء أو الجدل، وتنتهى بالإنسان إلى الشك وربما إلى الإلحاد والعياذ بالله، ومن متوسط يجيزها إذا صارت لدى المسلم حصانة من كتاب الله، وسنة نبيه محمدﷺ، ويمنعها إذا لم تتحقق هذه الحصانة حيث يخشى على المسلم حينئذ الشطط والفتنة فى الدين، وهو قول الإمام النووى ـ رحمه الله تعالى.

٧ ـ الإعجاب بالنفس بل الغرور والتكبر :

وقد يكون الإعجاب بالنفس بل الغرور والتكبُّر، هو السبب فى الوقوع فى المراء أو الجدل ؛ ذلك أن مَنْ كان مُعجبًا بنفسه، بل مغرورا متكبرا يلجأ إلى كثير من الأساليب والوسائل ليحتفظ بما ارتضاه لنفسه من هذه الأمراض والآفات .

ويعدُّ المراء أو الجدل من أهم هذه الأساليب وتلك الوسائل، وهذا هو الذى صنعه إبليس ـ لعنه الله ـ عندما أُمر مع الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، وامتنع، وقال له ربه : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [ص] عند ذلك ردَّ على ربه فى مراء وجدل قائلا : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [ص].

ولعل ذلك هو ما أشار إليه ربُّ العزة حين قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ﴾ [غافر : ٥٦] .

٨ ـ فراغ القلب من معرفة الله وتقواه :

وذلك أن القلب إذا فرغ من معرفة الله وتقواه، بمعنى مُراقبته وخوفه ورجائه، بصورة تحمل على الاستقامة، دخلت الدنيا هذا القلب، وتربَّعت على عرشه، ووسوس الشيطان، وبرزت النفس الأمَّارة بالسوء، وهنا يكون الاشتغال بما لا يسمن ولا يغنى من جوع من المراء أو الجدل، ومن الخصومة بالباطل وهكذا، ولهذا دعا ربُّ العزة عباده إلى مقاومة الفراغ بتنويع العبادة لئلا تسأم النفس أو تملَّ، ويكون الفتور أو القعود، الأمر الذى ينتهى بالوقوع فى حبائل المراء أو الجدل فقال سبحانه : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨ ﴾ [الشرح] .

يقول الحافظ ابن كثير ـ تعليقا على هاتين الآيتين وتفسيرا لهما بما أُثر عن السلف:

« أى إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، وقطعت علائقها فانصب إلى العبادة وقم إليها نشيطا فارغ البال، واخلص لربك النية والرغبة، وقال مجاهد فى هذه الآية : إذا فرغت من أمر الدنيا فقمت إلى الصلاة فانصب لربك، وعن ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل، وفى رواية عنه : فانصب بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس، وقال ابن عباس: فإذا فرغت فانصب فى الدعاء، وقال الضحاك : فإذا فرغت، أى من الجهاد، فانصب، أى فى العبادة . وإلى ربك فارغب : قال الثورى : اجعل نيتك، ورغبتك إلى الله عز وجل» (١) .

ويقول العلامة الألوسى ـ رحمه الله : « وأشعرت الآية بأن اللائق بحال العبد أن يستغرق أوقاته بالعبادة . . . وذكروا أن قعود الرجل فارغا من غير شغل، أو اشتغاله بما لا يعنيه فى دينه أو دنياه من سفه الرأى وسخافة العقل، واستيلاء الغفلة. وعن عمر ﷺ: إنى لأكره أن أرى أحدكم فارغا سبهللا لا فى عمل دنياه ولا فى عمل آخرته . وروى أن شريكا مرَّ برجلين يصطرعان، فقال : ما بهذا أمر الفارغ » (٢) .

٩ ـ عدم وجود برنامج يواكب ويمتصُّ الطاقات :

وقد يكون عدم وجود برنامج يواكب ويمتص الطاقات لدى المرء، هو السبب فى الوقوع فى المراء أو الجدل ؛ ذلك أن نفس المرء إن لم يشغلها بالنافع شغلته بالضار .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٥٢٨ .

(٢) انظر : روح المعانى للألوسى ٣٠ / ١٧٢ .

وقد حدد الإسلام برنامجا يستوعب حياة المسلم فى اليوم والليلة، وفى الأسبوع، وفى الشهر، وفى السنة، وفى العمر كله بحيث إذا حافظ عليه لم تبق لديه دقيقة تُستغلُّ فى مراء أو جدل، كما شدد الإسلام على الأئمة أن يستفرغوا كل ما فى وسعهم وكل ما فى طاقتهم، من أجل أن يستنبطوا ما يملأ على المسلم حياته بالعمل الجاد المثمر وإلا حرموا الجنة، فقال ﷺ: « ما من أمير يلى أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة » (١).

١٠ ـ الغفلة عن الآثار والعواقب المترتبة على المراء أو الجدل :

وأخيرا، قد تكون الغفلة عن الآثار والعواقب المترتبة على المراء أو الجدل هى السبب فى الوقوع فى المراء أو الجدل، فإن مَنْ غَفَلَ عن الآثار الضارة، والعواقب المهلكة لأى أمر من الأمور أدت به هذه الغفلة إلى الوقوع فى هذا الأمر .

ولعل هذا من بين الأسرار التى من أجلها تأتى أحكام كثيرة فى التشريع الإسلامى مقرونة بحكمة التشريع، ولعل هذا هو السر كذلك فى كثرة التكرار ودوام التذكير، بل الأمر به فى قوله سبحانه: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات]. ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعلى] .

رابعًا : آثار المراء أو الجدل :

وللمراء أو الجدل آثار ضارة وعواقب مهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامى، ودونك طرفا من هذه الآثار وتلك العواقب :

أ ـ على العاملين :

فمن آثار المراء أو الجدل على العاملين :

١ ـ قسوة القلب :

ذلك أن المراء أو الجدل مبنى على الكلام الكثير الذى لا فائدة ترجى من ورائه، ولا طائل تحته سوى إفحام الخصم، والغلبة عليه ولو بالباطل . وكثرة الكلام بغير ذكر الله فيها قسوة للقلب، فكيف لو كانت بالباطل، وقد جاء فى الحديث : « لا تكثروا

(١) سبق تخريجه فى الجزء الأول، آفة « الاستعجال » .

الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسى » (١) .

وقال مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ إمام دار الهجرة : « المراء يقسّى القلوب. . . » (٢) .

٢ ـ إغضاب الآخرين ، الأمر الذى يؤدى إلى البغض والقطيعة والتآمر :

وذلك أن مَنْ يشتغل بالمراء أو الجدل ينسى العمل ويركِّز على القول، ولا بركة فى قول لا يصحبه عمل،كما قال الله عز وجل: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف] . إذ فى ذلك قطع للعبد عن ربه، فيقسو القلب، ويكون الغضب، بل البغض والقطيعة والتآمر من الآخرين .

وقد وعى هذا الأثر لقمان الحكيم فقال يوصى ولده : « يا بنى، لا تجادل العلماء فيمقتوك . . . » (٣) .

كما وعاه الإمام مالك فقال: « المراء يقسى القلب، ويورث الضغائن » .

ووعاه سفيان الثورى فقال : « لو خالفتُ أخى فى رُمَّانة، فقال : حلوة، وقلت : حامضة لسعى بى إلى السلطان » (٤) ، وقال أيضا : « صافِ مَنْ شئتَ ثم أغضبه بالمراء، فليرمينَّك بداهية تمنعك العيش » (٥) .

٣ ـ ضياع الهيبة وسقوط المروءة :

وذلك أن المراء أو الجدل يحمل صاحبه على أن يكشف عن كل أوراقه، ويرمى خصمه بكل ما يستطيع، وإذا كشف المرء عن كل أوراقه، ورمى خصمه بكل ما يستطيع ضاعت هيبته، وسقطت مروءته لا محالة، إذ المرء كما قيل : مخبوء تحت لسانه، وفى هذا يقول عيسى عليه السلام : « مَنْ كثر كذبه ذهب جماله ، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته . . . » (٦) .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن : كتاب الزهد : باب (٦١) ٤ / ٥٢٥ رقم (٢٤١١] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا بهذا اللفظ، وعقب عليه الترمذى بقوله: « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد الله بن حاطب » .

(٢ ـ ٥) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى ٣ / ١٧٦ .

(٦) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى ٣ / ١٧٦ .

٤ ـ عدم أمن الفتنة فى الدين :

وذلك أنه كثير ما تعترض الشبهات طريق المرائى أو المجادل وقد لا يتمكن من الرد على هذه الشبهات، وحينئذ يتسرب الشك إلى نفسه، وقد يقوى هذا الشك إلى حد الفتنة وترك الدين والعياذ بالله، وماذا بقى للمرء بعد الفتنة وضياع الدين ؟!

وقد وعى هذا الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود فقال : « ذروا المراء، فإنه لا تفهم حكمته، ولا تؤمن فتنته . . . »[١] .

كما وعاه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إذ قال : « مَنْ جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل »[٢] .

ب ـ على العمل الإسلامى :

ومِنْ آثاره على العمل الإسلامى :

١ ـ الفرقة والتمزق :

وذلك أن مَنْ أورثه المراء أو الجدل : قسوة القلب، وإغضاب الآخرين إلى حدِّ البغض والقطيعة، والتآمر، وضياع الهيبة، وسقوط المروءة، وعدم أمن الفتنة فى الدين، لا يمكن أن يتآلف قلبه مع قلوب العاملين لدين الله ممَّن سلَّمهم الله من هذه الآفة فتكون القطيعة والفرقة .

٢ ـ تمكّن العدو مع طول الطريق وكثرة التكاليف :

وحين تكون القطيعة والفرقة يتمكن العدوُّ منَّا، وتطول الطريق، وتكثر التكاليف، سنة الله فى خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، وواقع العاملين اليوم يشهد بذلك، إذ الاختلاف حول أسلوب العمل إلى حدِّ المراء أو الجدل هو الذى أدى إلى القطيعة والفرقة، ومِنْ ثمَّ تمكن الأشرار، وطالت الطريق، وكثرت التكاليف .

---

(١) الحديث أورده الغزالى فى : إحياء علوم الدين ٣ / ١٧٥، وعلق عليه العراقى فى المغنى بهامش الإحياء ٣/ ١٧٥ قائلا: «أخرجه الطبرانى عن أبى الدرداء، وأبى أمامة، وأنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع بإسناد ضعيف دون قوله : « لا تفهم حكمته » ورواه بهذه الزيادة ابن أبى الدنيا موقوفا على ابن مسعود » .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى ٣ / ١٧٦ .

خامسا : طريق العلاج بل الوقاية من المراء أو الجدل :

وعلى ضوء ما قدمنا يمكن رَسْمَ طريق العلاج بل الوقاية من المراء أو الجدل على النحو التالى :

١ ـ ملء القلب بمعرفة الله وتوحيده وتقواه، فإن ذلك من شأنه أن يقضى بل يقى النفس من الوقوع فى سائر الآفات، ومنها هذه الآفة، ويعين على ذلك التدبُّر فى نعم الله التى تغمرنا من أعلى إلى أدنى،ظاهرةً كانت أو باطنة، وذلك من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكذلك من خلال النظر فى الكون. وفى القرآن الكريم ما يؤكد هذه الوسيلة إذ يقول ـ سبحانه: ﴿ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) ﴾ [النحل] . ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٢١)﴾ [الذاريات]، كما يعين على ذلك الاستقامة المتمثلة فى ترك المعاصى والسيئات صغيرها وكبيرها، ثم المحافظة على الفرائض، والمواظبة على النوافل .

٢ ـ رعاية الآداب الإسلامية التى لابدَّ منها فى النصيحة من ضرورة أن تكون فى السرِّ لمن لم يجاهر بها، وأن تكون بالأسلوب المناسب وفى اللحظة المناسبة، وأن تكون بنية الإصلاح والتغيير لما هو أحسن، وأن تكون خالصة لوجه الله تعالى، وأن يتجرد الناصح من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، إلى غير ذلك من الآداب التى يجمعها قوله سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] . ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨] . ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) ﴾ [طه] .

فإن رعاية هذه الآداب من شأنها أن تقضى على المراء أو الجدل، والقصة التالية خير ما يشرح ذلك :

« أصاب المأمون بخراسان كانونا من ذهب مُرَصَّعًا بجواهر كثيرة، قيل : إنه كان ليزدجر بن شهريار الفارسى، لا تعرف قيمته لكثرتها، فقال ذو الرِّياستين : الفضل بن سهل الصولت ـ وكان من دعاة الشعوبية : يا أمير المؤمنين، الرأى أن تجعله فى الكعبة يوقد عليه العود، والنِّد بالليل والنَّهار، فقال المأمون : أفعل، وأمر بحمله إلى مكة، واتصل الخبر بيزيد بن هارون المحدِّث، فأمر مستمليه أن يقف يوم الخميس عند اجتماع الناس، وأصحاب الحديث فيشكر المأمون، ويدعو له، ويخبر بخبر الكانون، ففعل المستملى ذلك، فلما سمع يزيد كلامه، صاح وانتهره، وقال له : ويلك، اسكت، إن

أمير المؤمنين أجل قدرا، وأعلم بالله ـ عز وجل ـ من أن يجعل بيته بيت نار ، فكتب أصحاب البريد إلى المأمون، فأمر بكسر الكانون، وبطل ما دبره ذو الرِّياستين » (١) .

٣ ـ إشعار الغير بالاحترام والتوقير حتى مع اختلاف الفكر وتعارض الرأى، فإن ذلك من شأنه أن يقضى على الإصرار أو العناد المتمثل فى المراء أو الجدل، وحسبنا أن النبى ﷺ ردَّ على عُتبة بن ربيعة لما جاء رسولا من قِبَل قريش يريد إثناءه ﷺ عن دعوته، عن طريق الاحتواء بواسطة الدنيا ممثَّلة فى الشرف والسؤدد، والوجاهة والملك، والمال، والمداواة من الأمراض والعلل إن كانت هى مصدر ما يحدثُهم به من شئون الوحى، رد عليه ﷺ فى أدب واحترام وتوقير، مع اختلاف فكر، ورأى كل واحد منهما على الآخر بقوله : « قل أبا الوليد أسمع لك »، « أفرغت أبا الوليد ؟ » الأمر الذى كان سببا فى امتصاص ما عند عتبة من إصرار أو عناد أو ما نسميه بالمراء أو الجدل حتى إذا سمع آيات من كتاب الله، وفى آخرها إنذار بالعذاب على نحو ما وقع لعاد وثمود خاف وأمسك بفى رسول الله ﷺ وهو يقول : ناشدتك الله والرَّحم إلا ما أمسكت، فإنى أخشى أن تنزل علىَّ هذه الصاعقة (٢) .

ثم عاد إلى قومه يطلب منهم أن يخلوا بين النبى وبين ما يقول، إذ لا يمكن أن يكون ما سمع من قول البشر .

وحسبنا أيضا موقف الشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ من كثير من مخالفيه ومعارضيه من أبناء عصره، ولاسيما الدكتور طه حسين، حيث كان يمنحهم مع اختلافه معهم حقهم من الاحترام والتقدير، الأمر الذى قطع عليهم طريق المراء أو الجدل .

إذ يذكر المعاصرون للشيخ حسن البنا: أنه لما نشر طه حسين كتابه: «مستقبل الثقافة فى مصر »، وضمَّنه ما يجب أن تتجه إليه الثقافة فى مصر من ضرورة الأخذ بالحضارة الغربية: خيرها وشرها، حلوها ومرها، هاجت الدنيا وماجت، وتناولت أقلام النقاد الكاتب بين قادح ومادح، ولم يكترث طه حسين بكل ما كتب وصمم على وضع آرائه فى الكتاب موضع التنفيذ باعتباره مستشار وزارة المعارف (التربية والتعليم الآن)، وهنا اتصل بعض الغيورين من أصدقاء الشيخ حسن البنا به، وطلبوا إليه أن يكتب نقدا للكتاب، ورد الشيخ حسن البنا بأنه لم يطلع على الكتاب لضيق وقته وكثرة الصوارف،

---

(١) انظر : القلائد من فرائد الفوائد للدكتور : مصطفى السباعى ص ٩٨ نقلا عن الفرغانى .

(٢) انظر : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحى ٢ / ٤٤٧ ـ ٤٥٠ بتصرف كثير .

وألحُّوا عليه فى ضرورة قراءة الكتاب، وبيان كلمة الإخوان قبل أن يوضع الكتاب موضع التنفيذ، لاسيما وأنه سيؤدى إلى تغيير جذرى فى سياسة البلد الثقافية، ولم يكتفوا بذلك، بل أخبروه أنهم حددوا موعداً لبيان ذلك فى دار الشبان المسلمين وطبعوا الدعوات، وكان الموعد بعد خمسة أيام، يقول الشيخ حسن البنا : ولم أكن أستطيع التحلل من مواعيد كنت مرتبطا بها فى خلال هذه الأيام الخمسة، وعليه فما كنت أجد وقتا لقراءة هذا الكتاب إلا فترة ركوبى الترام فى الصباح إلى مدرستى، وفترة رجوعى منها فى الترام ـ وكان يعمل فى مهنة التدريس ـ وقدَّر الله، وأتيت على الكتاب من أوله إلى آخره ؛ لأنه لم يكن كبير الحجم، وكنتُ أضع علامات بالقلم الرصاص على فقرات معينة، ولم تمض الأيام الخمسة حتى كنت قد استوعبت الكتاب كله، وفى الموعد المحدد ذهبت إلى دار الشبان، فوجدتها على غير عادتها غاصَّة، والحاضرون هم رجالات العلم،والأدب، والتربية فى مصر، ووقفت على المنصة، واستفتحت بحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبجانبى الدكتور يحيى الدردیرى السكرتير العام للشبان المسلمين، ورأيت الكتاب كله منطبعا فى خاطرى بعلاماتى التى كنت علمتها بالقلم الرصاص .

قال: وبدأت أول ما بدأت، فقلتُ: إننى لن أنقد هذا الكلام من عندى وإنما سأنقد بعضه ببعض، وأخذت ـ ملتزما بهذا الشرط ـ أذكر العبارة من الكتاب، وأعارضها بعبارة أخرى من نفس الكتاب، ولاحظ الدكتور الدردیرى أننى فى كل مرة أقول: يقول الدكتور طه فى الكتاب فى صفحة كذا، وأقرأ العبارة بنصها من خاطرى، ثم أقول: ويناقض الدكتور طه نفسه فيقول فى صفحة كذا ، وأقرأ العبارة بنصها أيضا من خاطرى، فاستوقفنى الدكتور الدردیرى، وطلب إلىَّ أن أمهله حتى يحضر نسخة من الكتاب ليراجع معى النصوص والصفحات لأنه قرأ الكتاب، ولم يلاحظ فيه هذا التناقض، وكأنه لم يقرأ العبارات التى يسمعها الآن، وجىء له بالكتاب وظل يتابعنى، فيجد العبارات لا تنقص حرفا ولا تزيد حرفا، ويجد الصفحات كما أحددها تماما، فكاد الدكتور الدردیرى يجن، كما ساد الحاضرين جوٌّ من الدهشة والذهول، والكل يتجه ـ كلما قرأت من خاطرى عبارتين متناقضتين ـ إلى الدكتور الدردیرى، كأنهم يسألونه : أحقا هذه العبارات فى الكتاب ؟ فيقول الدكتور الدردیرى فى كلِّ مرَّة : بالنصوص والصفحات .

وهكذا حتى انتهى الكتاب وانتهت المحاضرة، وقام الجميع وفى مقدمتهم الدكتور : الدردیرى بين معانق ومُقَبِّل، يقول الشيخ حسن البنا : ولما هممت بالانصراف رجانى

الدكتور الدرديرى أن أنتظر برهة ؛ لأنه يريد أن يسرَّ حديثا، واقترب منى وأسر فى أذنى سرّا تعجبت له. قال: لما نشرنا عن موضوع محاضرتك وموعدها اتصل بى الدكتور : طه حسين، وطلب إلىَّ أن أعدَّ له مكانا فى هذه الدار يستطيع فيه أن يسمع كل كلمة تقولها دون أن يراه أو يعلم بوجوده أحد، فأعددنا له المكان، وحضر المحاضرة من أوَّلها إلى آخرها ثم خرج دون أن يراه أو يعلم به أحد .

وفى اليوم التالى : طلب الدكتور طه حسين من أحد موظفى وزارة المعارف، وكان على صلة وثيقة بالشيخ حسن البنا، أن يُرتِّب له اجتماعا مع الشيخ حسن البنا فى أى مكان بحيث لا يكون معهما أحد، وبحيث لا يعلم بهما أحد، وليكن هذا المكان فى بيته أو بيتى، أو فى مكتبى هنا، ووافق الشيخ حسن البنا ورأى أن يكون الاجتماع فى مكتبه بالوزارة، وتم الاجتماع، وبدأه الدكتور طه حسين بقوله : لعلك يا أستاذ حسن لا تعلم بأننى حضرت محاضرتك، وبأننى كنت حريصا على حضورها، وعلى الاستماع إلى كل كلمة تقولها، لأننى أعرف من هو حسن البنا، وأقسم لك لو أن أعظم عظيم فى مصر كان فى مكانك ما أعرته اهتماما، قال الشيخ حسن البنا : فشكرته ثم سألته عن رأيه فى المواضع التى وجهتُ النقد إليها فى الكتاب، وهل لديه مِنْ ردٍّ عليها ؟

قال الدكتور طه حسين : ليس لى ردٌّ على شىء منها، وهذا نوع من النقد لا يستطيعه غيرك، وهذا هو ما عنانى مشقة الاستماع إليك، ولقد كنت أستمع إلى نقدك لى، وأطرب . . . وأقسم يا أستاذ حسن لو كان أعدائى شرفاء مثلك لطأطأت رأسى لهم، لكن أعدائى أخسَّاء، لا يتقيَّدون بمبدأ ولا بشرف، إن أعدائى هم الأزهريون وقد ظنُّوا أنهم يستطيعون أن يمحوا اسمى من التاريخ، وقد كرست حياتى لإحباط مكايدهم، وهأنذا بحمد الله فى الموضع الذى تتقطع أعناقهم دونه . . . ليت أعدائى مثل حسن البنا ؟ إذن لمددت لهم يدى من أول يوم »[1] .

أرأيت كيف يصنع الاحترام والتقدير للآخرين حتى مع اختلاف الفكر، وتباين الرأى ؟ إنه يمتص من نفوسهم المراء أو الجدل على النحو الذى نطق به هذا المثال .

٤ ـ تدبُّر نظرة الإسلام إلى المراء أو الجدل، وذلك بدوام النظر فى الآيات

---

(١) انظر : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٣٩ ـ ٢٤٢ .

والأحاديث الواردة فى كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ حول هذه الآفة، فإن لذلك دوراً كبيراً فى علاج النفس بل حمايتها من المراء أو الجدل .

٥ ـ تحرِّى العيش فى وسط سليم من المراء أو الجدل، فإن ذلك يعين النفس بل يحفظها من الوقوع فى غوائل هذه الآفة .

٦ ـ قيام الأمة وولىُّ الأمر بواجبهما نحو هذا الصنف من الناس، كلٌّ بما يتناسب مع طاقاته وإمكاناته، فالجميع ينصحون، وينكرون بألسنتهم، وولىُّ الأمر يتولى التعزير إن اقتضى المقام ذلك، والأمة تعتزل وتقاطع، حتى تستقيم حال هؤلاء، وقصة عمر من صبيغ بن عِسْل برهانٌ عملى على صحة ما نقول، إذ تحكى كتب التاريخ : أن صَبِيغ بن عِسْل جعل يسأل عن متشابه القرآن فى أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو ابن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه، فقال: أين الرجل ؟ أبصر لا يكون ذهب فتصيبك منى العقوبة الوجيعة .

فأتى به، فقال عمر : « سبيل مُحْدَثة » أى بدعة جديدة، فأرسل إلى رطائب من جريد، فضربه بها حتى ترك ظهره دَبَرة (أى قرحة) ، ثم تركه حتى برئ ثم عاد له، ثم تركه حتى برئ، فدعا به ليعود .

فقال صبيغ : إن كنت تريد قتلى فاقتلنى قتلا جميلا، وإن كنت تريد أن تداوينى فقد والله برئتُ، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبى موسى الأشعرى : ألا يجالسه أحد من المسلمين .

قال أبو عثمان النهدى : فلو جاءنا ونحن مائة لتفرقنا عنه .

وقال زرعة : رأيت صبيغا كأنه أجرب، يجىء إلى الحلقة ويجلس وهم لا يعرفونه، فتناديهم الحلقة الأخرى : عزمة أمير المؤمنين عمر، فيقومون، ويدعونه، فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر، أنه قد حسن أمره، فكتب إليه عمر : أن ائذن للناس بمجالسته [١] .

٧ ـ مجاهدة الآباء والأمهات أنفسهم كى يتطهروا من هذه الآفة إن كانوا مصابين بها، فإن عجزوا مع أنفسهم، فليكن ظهورها فى أضيق الحدود وبعيدا عن أعين الأبناء

---

(١) انظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن بدران ٦ / ٣٨٥ وعنه نقل الطنطاويان فى : أخبار عمر ص ١٩٠، ١٩١ .

لئلا تتسرب العدوى إليهم ، فيكونون من الدعاة إلى الشرِّ والضلالة، يحملون إثم أنفسهم وإثم مَنْ اقتدى بهم، إذ يقول ﷺ : « . . . ومَنْ دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام مَنْ تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا »[١] .

٨ ـ علاج أو مداواة النفس من الإعجاب، بل الغرور، بل التكبر على نحو ما جاء فى طريق الخلاص من هذه الآفات فى الجزء الأول، فإن النفس إذا سلمت من هذه الآفات، تداوت أو عولجت من كلِّ ما يترتب عليها من آثار ولا سيما المراء أو الجدل .

٩ ـ البعد عن الاشتغال بعلوم الجدل والمناظرة، وإذا كان ولابد من الاشتغال بهذه العلوم، فليكن بعد التحصُّن، والتحصُّن الشديد بكتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ ، فإنهما عصمة وأمان من كل شر أو فتنة .

١٠ ـ التحرُّك من خلال منهج يَسُدُّ الفراغ، ويُعْمِلُ الطاقات، ويربط النفس بربها: باريها، ومالكها، والمتصرف فيها حتى لا توجد لحظة فراغ تستغل مِنْ قِبَل شياطين الجن والإنس فى تدنيس النفس بهذه الآفة، ولا سبيل لذلك بصورة تامة دقيقة إلا فى حضن جماعة مسلمة جامعة لصفات وضوابط الجماعة المسلمة حقا .

١١ ـ مجاهدة النفس، وتعويدها على الجرأة والشجاعة فى الاعتراف بالخطأ وقبول الحق من الغير وإن كان مُرّا، إذ الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل، والمهمُّ هو ظهور الحق بغض النظر : على لسان مَنْ ظهر هذا الحق ؟ فإن مثل هذه المجاهدة تساعد كثيرا فى علاج بل سلامة النفس من هذه الآفة .

١٢ ـ تذكر العواقب والآثار المترتبة على المراء أو الجدل، فإن المرء إذا أدرك العواقب الضارة والآثار المهلكة لأى عمل من الأعمال امتنع عن الإتيان بهذا العمل، خشية أن تصيبه هذه العواقب وتلك الآثار .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى مختصرا فى : الصحيح : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب إثم مَنْ دعا إلى ضلالة أو سنَّ سنَّة سيئة ٩ / ١٢٧، ومسلم فى : الصحيح : كتاب العلم : باب من سنَّ سنة حسنة أو سيئة، ومَنْ دعا إلى هدى أو ضلالة ٤ / ٢٠٦٠ رقم (٢٦٧٤) ، وأبو داود فى : السنن : كتاب السنة : باب فى لزوم السنة ٤ / ٢٠١ رقم (٢٦٠٩) ، والترمذى فى : السنن : كتاب العلم : باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى . . . إلخ ٥ / ٤٢ رقم (٢٦٧٤) ، وابن ماجه فى : السنن : المقدمة : باب من سنَّ سنة حسنة أو سيئة ١ / ٧٥ رقم (٢٠٦) ، وأحمد فى : المسند ٢ / ٣٩٧، ٥٠٥ كلهم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا به، وبنحوه، وأوله كما فى مسلم : « مَنْ دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا . . . » الحديث .

١٣ ـ الاستعانة التامة بالله عز وجل عن طريق ذكره الدائم المستمر، بالعقل، وباللسان، وبالقلب، وبالجوارح وبالسلوك، فإن الله بيده مقاليد السموات والأرض، وهو سبحانه يعين من استعان به ولجأ إليه إن كان صادقا فى هذه الاستعانة وفى هذا اللجوء. قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ . . . ﴾ [المؤمنون] . ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ . . . ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

١٤ ـ دوام النظر فى سير السَّلف، وكيف كان بعدهم عن المراء أو الجدل، بل كراهيتهم، ومقاطعتهم لمن ابتلوا بذلك، ولكن بعد الإرشاد وبذل النصيحة .

١٥ ـ معاملة مَنْ يخالفوننا فى الرأى على أن رأينا صواب يحتمل الخطأ، وأن رأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب، فإن المعاملة بهذه الصورة من شأنها أن تستلَّ الأحقاد من الصدور، وأن تقضى على المراء أو الجدل .

١٦ ـ رؤية الكلام على أنه من العمل، فإن من يرى كلامه مِنْ عمله يقل كلامه إلا فيما يعنيه، وبذلك يُغلق باب واسع من أبواب المراء أو الجدل .